

## تفسير البحر المحيط

@ 102 لقائل ذلك أن يسلك مذهب الكوفيين في أن أفعال التفضيل ينتصب المفعول به ،  
فالقوانس عندهم منصوب بأضرب نصب المفعول به ، وإنما تأويله بضرب القوانس قول البصريين  
، ولذلك ذهب بعض النحويين إلى أن قوله { أَعْلَامٌ مِّنْ يَّضِلُّهُنَّ } من منصوبة بأعلم نصب  
المفعول به ، ولو كثر وجود مثل . .  
واضرب منا بالسيوف القوانسا .

لكننا نقيسه ويكون معناه صحيحاً لأن أفعال التفضيل مضمن معنى المصدر فيعمل بذلك التضمين  
، ألا ترى أن المعنى يزيد ضربنا بالسيوف القوانسا على ضرب غيرنا ، ولما ذكر قوله ليعلم  
مشعراً باختلاف في أمرهم عقب بأنه تعالى هو الذي يقص شيئاً فشيئاً على رسوله صلى الله  
عليه وسلم ) خبرهم { بِرِالْحَقِّ } أي على وجه الصدق ، وجاء لفظ { نَحْنُ نَقُصُّهُ }  
موازيماً لقوله لنعلم . .

ثم قال { بِرَبِّهِمْ } وَزَادُوا نَاهُمْ } ففيه إضافة الرب وهو السيد والناظر في مصلحة  
عبده ، ولم يأت التركيب { ءَامَنُوا } بناء للأشعار بتلك الرتبة وهي أنهم مريبون له  
مملوكون . ثم قال : { وَزَادُوا نَاهُمْ } هُدًى } ولم يأت التركيب وزادهم لما في لفظة نا من  
العظمة والجلال ، وزيادته تعالى لهم { هُدًى } هو تيسيرهم للعمل الصالح والإنقطاع إليه  
ومباعدة الناس والزهد في الدنيا ، وهذه زيادة في الإيمان الذي حصل لهم . وفي التحرير {  
زَادُوا نَاهُمْ } ثمرات { هُدًى } أو يقيناً قولان ، وما حصلت به الزيادة امثال الأمور  
وترك المنهي ، أو إنطاق الكلب لهم بأنه هو على ما هم عليه من الإيمان ، أو إنزال ملك  
عليهم بالتبشير والتثبيت وإخبارهم بظهور نبي من العرب يكون الدين به كله □ فأمنوا به  
قبل بعثه أقوال ملخصة من التحرير . .

{ وَرَبِّطْنَا عِلَى قُلُوبِهِمْ } ثبتناها وقويناها على الصبر على هجرة الوطن  
والنعيم والفرار بالدين إلى غار في مكان قفر لا أنيس به ولا ماء ولا طعام ، ولما كان  
الفرع وخوف النفس يشبه بالتناسب الإنحلال حسن في شدة النفس وقوة التصميم أن تشبه الربط  
، ومنه فلان رابط الجأش إذا كانت نفسه لا تتفرق عند الفرع والحرب . وقال تعالى : { إِنْ  
كَادَتْ لَتَّيْدِي بِهِ لَؤْلُؤًا أَنْ رَّبِّطْنَا عِلَى قَلْبِهَا } والعامل في { أَنْ  
رَّبِّطْنَا } أي ربطنا حين { قَامُوا } ، ويحتمل القيام أن يكون مقامهم بين يدي  
الملك الكافر دقيانوس ، فإنه مقام محتاج إلى الربط على القلب حيث صلبوا عليه وخلعوا  
دينه ورفضوا في ذات □ هيبتة ، ويحتمل أن يكون عبارة عن انبعاثهم بالعزم إلى الهروب

إلى □ ومنايذة الناس كما يقال : قام فلان إلى كذا إذا اعتزم عليه بغاية الجد . .  
وقال الكرمانى : { قَامُوا ° } على أرجلهم . وقيل : { قَامُوا ° } يدعون الناس سرّاً .  
وقال عطاء { قَامُوا ° } عند قيامهم من النوم قالوا وقيل : { قَامُوا ° } على إيمانهم .  
وقال صاحب الغنيان : { إِذٌ قَامُوا ° } بين يديّ الملك فتحرّكت هرة . وقيل : فأرة ففزع  
دقيانوس فنظر بعضهم إلى بعض فلم يتمالكوا أن قالوا { رَبُّنَا رَبُّ \* السَّمَاوَاتِ  
وَالْأَرْضِ } وكان قومهم عباد أصنام ، وما أحسن ما وحدوا □ بأن ربهم هو موجد السموات  
والأرض المتصرف فيها على ما يشاء ، ثم أكدوا هذا التوحيد بالبراءة من إله غيره بلفظ  
النفى المستغرق تأييد الزمان على قول . واللام في { لَقَدِ } لام توكيد و { إِذَا } حرف  
جواب وجزاء ، أي { لَقَدِ قُلْنَا } لن ندعو من دونه إلهاً قولاً { شَطَطًا } أي ذا  
شطط وهو التعدي والجور ، فشططاً نعت لمصدر محذوف إما على الحذف كما قدرناه ، وإما على  
الوصف به على جهة المبالغة . وقيل : مفعول به بقلنا . وقال قتادة : { شَطَطًا } كذباً  
. وقال أبو زيد : خطأً . .

{ هَوُّؤْلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا ° مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَّوْلا يَأْتُونِ ءَعْلَٰيهِمْ  
بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ ءَالِيًّا كَذِبًا } . .

ولما وحدوا □ تعالى ورفضوا ما دونه من الآلهة أخذوا في ذم قومهم وسوء فعلهم وأنهم لا  
حجة لهم في عبادة غير □ ، ثم عظموا جرم من افتري على □ كذباً وهذه المقالة يحتمل أن  
قالوها في مقامهم بين يديّ الملك تقبيحاً لما هو وقومهم عليه وذلك أبلغ في التبرّي من  
عبادة الأصنام ، وأفتّ في عضد الملك إذا اجترؤوا عليه بدم ما هو عليه ، ويحتمل أن قالوا  
ذلك عند قيامهم للأمر الذي عزموا عليه و { هَوُّؤْلَاءِ } مبتدأ . .

و { قَوْمُنَا } قال الحوفي : خبر و { اتَّخَذُوا ° } في موضع الحال . وقال الزمخشري  
: وتبعه أبو البقاء : { قَوْمُنَا } عطف بيان و { اتَّخَذُوا ° } في موضع الخبر .  
والضمير في { مِنْ دُونِهِ } عائد على □